تأثير حركة المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية

The Influence of the Neoconservative Movement on U.S. Foreign Policy

عبد الغني حجاب. أستاذ محاضر
جامعة محمد بوضياف. المسيلة - الجزائر
Abdelghanie.hadjab@univ-msila.dz

تاريخ الارسال: 2024/02/01	تاريخ القبول: 2024/07/07	تاريخ النشر: 2024/07/18

ملخص :

يلقي هذه المقال الضوء على جماعة المحافظين الجدد، بما تحويه من جماعات ضغط ونخب في مجال السياسة الخارجية، عبر تفحص مسارها، والتنوع الهائل للمجتمع الأمريكي الذي يضم هذه المنظمات، والتي توجد لديها رغبة مشتركة في إعادة صياغة الرأي العام الّأمريكي والتأثير في خيارات صانعي قراراته، كما توضح كيفية سعيها إلى ممارسة تأثيرها في السياسة الخارجية بناءا على رسالتها وأولوياتها ومواردها. كما أن تحديد ومعرفة النسق الذي ترتسم في إطاره نخب المحافظين الجدد المؤثرة في السياسية الخارجية الأمريكية، يعتبر قضية مركزية في فهم وتفسير طبيعة هذه السياسة، للتعرف على الأهداف والوظائف التي ترسمها كل وحدة سياسية لنفسها، على المستوى الداخلي والإقليمي والدولي، ففهم السياسة الأمريكية المحلية والخارجية، يتطلب فهم هذه التنظيمات غير الرسمية كمتغير مهم من المشهد السياسي الأمريكي.

الكلمات المفتاحية : اللوبي، جماعات الضغط، السياسة الخارجية الأمريكية، صناعة القرار، المحافظين الجدد

***المؤلف المرسل :** عبد الغني حجاب

Abstract:

This article examines the neoconservative group, including its lobbyists and foreign policy elites, by examining its path and the enormous diversity of American society. Which includes these organizations, which share a common desire to reshape American public opinion. And influencing the choices of its decision makers. It also explains how it seeks to exert its influence in foreign policy, based on its mission, priorities, and resources. Also, identifying and knowing the framework within which the

neo-conservative elites who influence American foreign policy are drawn is a central issue in understanding and interpreting the nature of this policy, to identify the goals and functions that each political unit sets for itself, at the internal, regional and international levels, so understanding American domestic and foreign policy , requires understanding these informal organizations as an important variable in the American political landscape..

Keywords: Decision-making; US foreign policy; Lobby; Neo-Conservatism; pressure groups..

مقدمة:

يعد طرح موضوع المحافظين الجدد المؤثر في صنع القرار الأمريكي من أكبر الموضوعات التي ظلت -وما تزال- بحاجة على مزيد من البحث العلمي الواقعي لطروحاتها، ونقصد بالطرح العلمي الواقعي مجموع الميكانيزمات أو الآليات التي تؤدي في مجموعها إلى تحقيق التحليل الأكاديمي الموضوعي المتميز بالدقة، الموضوعية والحياد.

الإشكالية

ضبطا للحدود التي يمكن أن يتطلبها الموضوع، وعليه فإن الإشكال العام للدراسة يمكن التعبير عنه كما يلي: إلى أي مدى يمكن التأكيد على أن القرار الأمريكي هو نتاج شبكات غير رسمية، كتيار المحافظين الجدد؟. وإلى أي حد يمكن التدليل بأن لهذه اللوبيات تأثير عميق في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية؟.

مناهج البحث

استدعى البحث الاعتماد على مجموعة من المناهج العلمية، التي تعينه على تفكيك المادة العلمية ودراستها، على ضوء المتغيرات التي تعترض الباحث خلال عملية البحث، فاستعانت الدراسة بمناهج متنوعة منها: المنهج التاريخي، المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي.

العناصر الأساسية

أولا: قراءة لماهية التيار وخلفيات نفوذه

ثانيا: آليات التفكير والعمل

ثالثا: ارتباط التيار الديني بإدارة بوش (الابن)

فرضيات البحث

إن التطرق إلى الإشكالية المطروحة يتطلب طرح جملة من الفرضيات، تتمثل في:

- السياسة الخارجية الأمريكية هي نتاج تأثيرات ذات مصادر متعددة، لا تنحصر عند حدود المؤسسات الرسمية.
- يُلاحظ أثر تيار ديني محافظ في جل توجهاتها ومساراتها، وذلك بعد تغلغله في الإدارة الأمريكية بدءا من الحزب الجمهوري.

1. قراءة لماهية التياروخلفيات نفوذه

ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدراسات التي تلقي مزيدا من التوضيح على ماهية التيار الخلفية الفكرية وطريقة تفكير المحافظين الجدد، الذين تبين بأن لديهم تأثرا مهما في رسم السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية، وعن جذورهم الفكرية وطريقة عملهم، والمعروفين بعملهم ضمن نسق ديني سياسي متعدد الأطياف، يغلب عليه وضوح الأساليب المقرونة بوضوح الأهداف.

تتطلب هذه القراءة البدء بتعريف المصطلحات ومن ثم إلى إبراز الجذور التاريخية لليمين المسيحي منتهيا بالحديث عن تطبيقاتها السياسية بواسطة فريق المحافظين الجدد (The Neo-Conservatives)، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية لأن كثير منهم كانوا ديمقراطيين سابقين اعتنقوا النزعة الجمهورية، شأنهم في ذلك شان مفكرين آخرين لا يمكن وصفهم تحديدا بأنهم محافظون جدد.

لقد نشأ تيار اليمين المسيحي في إنكلترا في القرن السابع عشر حيث تم ربطه بالسياسة، ولاسيما بتصور دولة يهودية تتميماً حسب زعمها لنبوءة الكتاب المقدس، وانتقل في مرحلة ثانية إلى الولايات المتحدة، حيث أخذ أبعاداً سياسية واضحة وثابتة كما أخذ بعداً دولياً.

لقد مثل تيار المحافظين الجدد قوة سياسية متنامية، حيث أنه الأكثر فعالية بل والأعلى صوتاً بين مختلف تيارات اليمين المسيحي، لأنه عبر تحالفه مع جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل يمتلك العديد من وسائل الإعلام، وله قاعدة مالية كبيرة، إلى جانب قدرته في التأثير على أتباعه وعلى قطاعات واسعة داخل المجتمع الأمريكي.

وقد جرى الحديث عن نجاحات المجموعة السابقة في الهيمنة على المجاميع المحافظة والمجلات والمناصب الحساسة في جهاز صنع السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية، وشبكة الصحفيين والمحررين الصغيرة والمؤثرة، والتي مكنتهم من رسم الجدل السياسي داخل الحكومة وخارجها، غير أن الحديث بنوع من العمومية غير كاف للوقوف عند العديد من الحقائق الموضوعية، التي تبدوا مجردة في بعض الأحيان، لذا سيتم البحث أولا في تاريخ هذا

التيار ومن ثم التمعن في دراسة جذور صنع قيادات محافظة، والخلفية الفكرية التي تنطلق منها، وذلك بهدف تحديد سياساتها وأنماط تأثيرها في السياسة الخارجية الأمريكية.[1]

1.1 تاريخ التيار المحافظ

بالعودة إلى أصول هذه التيارات الفكرية، نلاحظ أن الإنجيل أو العهد الجديد يتألف من أربعة أناجيل، وينتهي الإنجيل الأخير منهم بسفر الرؤيا، وهو فصل يرى اليمين المسيحي أنه يتنبأ بكل ما سيحدث في المستقبل، ويفسرون من خلاله أحداث الحاضر والآتي، ويحتل هذا الفصل مكانة خاصة في وسط تيار اليمين المسيحي، وهو مرجعه في العديد من مقولاته.

وبكلمات مختصرة يلخص الكاتب الصحفي سالينجر صورة بعض السياسيين الأمريكيين المفعمة بالعقيدة الكالفينية، فيقول عن هذه العقيدة أنها تقرر ما يلي: "لئن كان الله قد سمح بأن يجتمع في أرض الولايات المتحدة شعب من رجال ونساء مميزين، فذلك لأنه منح هذا الشعب رسالة حكم العالم ذات يوم".[2]

وبعد أن قام هؤلاء بتأسيس منظمة تدعى "لجنة العالم الحر"، اتسع نشاط هذه اللجنة بسبب الدعم الذي تلقته من الموساد ومن وكالة المخابرات المركزية، وخرجت عن نطاق اليهود رغم تركيزها عليهم واحتفاظهم بقيادتها، لتضم عناصر أخرى، تألقت من على المسرح السياسي الأمريكي مع إدارة بوش (الابن)، ومن بين الذين التحقوا بها جين كير كباتريك التي أصبحت سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، والأخوين والت وايوجين روستو وريتشارد بيرل وايليوت آبراهام وكينيث آدلمان.[3]

لقد كان التيار المحافظ بمثابة مصنع للقيادات السياسية التي بوسعها أن تتبنى موقفاً أيديولوجياً متماسكاً في الدفاع عن سياسات محافظة وفي دعم سياسات إسرائيلية، وما لبث هذا المصنع أن تحول إلى تيار سياسي عريض، خاصة بعد مشاركتهم بفعالية في تحقيق انتصار سياسي كبير كان بمثابة نقطة تحول، ليس فقط في تاريخ هذا التيار السياسي ذاته، ولكن في تاريخ الولايات المتحدة السياسي أيضاً، فقد حمل المحافظون الجدد ضمن تحالف من القوى الأخرى أول رئيس محافظ جديد إلى البيت الأبيض، ذلك هو رونالد ريغن، وظفر الجميع بتعيينات مؤثرة في الإدارة الجديدة، فحصلوا على الخارجية مع جورج شولتز (الذي نظم حملة من أجل الضغط على الإدارة الأمريكية كي تضرب البنى التحتية العراقية قصد إضعاف النظام، مع العلم أن شركة بكتل غروب -التي هو رئيسها- هي التي تولت إعادة

البناء)، وعلى الأمن القومي مع ريتشارد آلان، وعلى الأمم المتحدة مع جين كير كباتريك ومواقع أخرى كثيرة.[4]

2.1 الخلفية الفكرية للتيارات المحافظة

الواقع أن تيار المحافظين الجديد في وزارة الدفاع وأغلبية المحافظين الجدد المتواجدين في إدارة بوش (الابن) نهلوا معرفياً من شترواس، ولقد كان بول وُلفوويتز واحد من أوائل أتباع ليو شتراوس وآلان بلوم الذين جاؤوا إلى واشنطن، وبينما كان ما يزال يتابع دراسته في جامعة شيكاغو تعرف على مؤسس "Rand" ألبرت وولستتر، وإلى بول نيتز الخبير الرائد في مراقبة الأسلحة الذي تسلم مناصب عليا في معظم حكومات ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومع حلول عقد السبعينيات كان قد شق طريقه عبر علاقاته مع أتباع شتراوس الذين وجدوا مواقع لهم في العديد من لجان مجلس الشيوخ، وقد كان معه خلال هذه الفترة ريتشارد بيرل وستيفن براين وآليوت آبراهام الذي عمل عضواً في هيئة الموظفين في مجلس الشيوخ، كما ينتمي إلى المتحمسين لهذا الفكر ستيفن كامبون، وكيل وزارة الخارجية لشؤون المخابرات الذي أعلن اكتشاف ما يحتمل أن يكون مختبراً متنقلاً للأسلحة البيولوجية في العراق.

إن الطغيان والتوليتارية نِتاج لنمو ترافق -مع رفض القيم الأخلاقية والفضيلة- وللتاريخية الفلسفية عند ماركس وهيغل، والتي أنتجت رفضاً لأي قيمة عليا، ولليبرالية "النسبوية" التي اعتبرت أن كل المواقف الأخلاقية نسبية في المآل الأخير، مما أفقد المجتمعات الصناعية في كل من الاتحاد السوفياتي وحتى الولايات المتحدة أهمية الاعتراف بمرجعية عُليا أخلاقية، تكون مقياساً للخير دون الشر، وعلى هذا فإن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يتساويان خُلقياً الأمر الذي يستدعي لديه ولدى من سيأتي بعده ثورة على السياسة، التي تحرّم القيمة الأخلاقية التي تعتبرها مضافة إلى العمل السياسي، وهنا يضفي شتراوس مجموعة من الحمولات الأخلاقية على السياسة، في وقت تصّر فيه السياسة على أن تكون فناً للممكن، بينما يبقى تعريف الأخلاق ما يجب أن تكون، وعليه لا يجوز للسياسة أن تحرّم استصدار أحكام بالقيم الخيّرة، وأن من واجب الأنظمة الخيرة أن تدافع عن نفسها في مواجهة الأنظمة الفاسدة، وهذه الرؤية ستحكم عقلية اليمين الجديد، التي ترى في نظامها السياسي ذروة الخير وأنظمة الآخرين ذروة الشر.[5]

النقاط الرئيسة التي ينهل منها المحافظون الجدد تتركز في رؤيته بأن الديمقراطية يجب أن تكون قوية بصورة كافية حتى تستطيع أن تقف في وجه "الطغيان" الذي يشكل الخطر الأدهى على البشرية، وفي هذه النقطة بالذات تظهر مقولة أن ليس ثمة من فلسفة بريئة

بشكل واضح للغاية، وهذا ما يفسر تنظيره حول أهمية اتخاذ القوة في نقل الديمقراطية إلى العالم، وهذا هو شعار هذا التيار في وزارة الدفاع في عهد بوش (الابن).[6]

3.1 جذور صنع قيادات محافظة

تعود نشأة الخط المحافظ الجديد المعروف باشتراكه في التراث اليهودي المسيحي إلى الستينات، مع تخلي عدد من المفكرين عن توجههم التقدمي السابق، وذلك لبروز جملة من المسائل الخلافية نتيجة لجنوح التقدميين إلى نقد السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولاسيما في تأييدها غير المشروط لإسرائيل.

يعترف القس فريتس ريتسش بحقيقة تأثير الدين في السياسة الأمريكية أكثر من أي وقت مضى، فيقول: "لم يحدث في التاريخ أن كانت الولايات المتحدة مسيحية سياسيا وبشكل علني مثل ما هي اليوم"، لكنه يحذر بأن "اقتناعنا بأن الرب إلى جانبنا، يجعل الحاجة إلى مراجعة الذات وإلى التواضع أقل".[7]

وسُلطت الأضواء أيضا على المنابع السياسية لتلك المجموعة، التي كان أفرادها في السابق ديمقراطيين ليبراليين ولدوا في رحم مجلة كومنتري التي كانت تمولها اللجنة اليهودية الأمريكية، وفي مكاتب هنري جاكسون السيناتور الديمقراطي المشهور بآرائه اليمينية في السياسة الخارجية.

ومصدر الخطورة من الولايات المتحدة يتحرك في اتجاه الغرب الأوسط والجنوب، أو بعبارة أخرى في اتجاه المسيحيين الذين يسكنون المناطق الجنوبية المعروفة باسم الحزام الإنجيلي، وهو الأمر الذي يتضح عند سماع تصريحات الرئيس الأمريكي.[8]

غير أن ما هو أقل قابلية للملاحظة من ذلك هو عدد من لهم نفوذ على السياسة العربية الإسرائيلية لإدارة رونالد ريغن الذين عادوا إلى السلطة، إما بأدوار صنع السياسات أو يحومون قريبا منها، وهم شخصيات رئيسية من مجموعة تُدعى بالمحافظين الجدد التي أدت دورا كبيرا وبارزا في توجيه سياسة إدارة رونالد ريغن، التي اتبعتها طوال أعوامها الثمانية على الخطوط المناصرة لإسرائيل والمناهضة للفلسطينيين بقوة.[9]

والنتيجة المؤكدة أن معظم العناصر الفاعلة في صناعة القرار في البيت الأبيض ووزارة الدفاع في إدارة بوش (الابن) تنتمي إلى الإنجيليين (Evangelics)، وهي من الفئات الأكثر إيمانا بالترابط العضوي بين العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والإنجيل)، ويتزامن هذا مع

هيمنة هذا الفكر على دواليب السلطة والإعلام في الولايات المتحدة، وظهور تنظيم (Ku Klux Klan) كتحد لكل من لا ينتمي إلى العنصر الأبيض المسيحي (WASP).[10]

2. آليات التفكير والعمل

إن فهم أداء اليمين الجديد في الولايات المتحدة يتطلب عدم دمجه في الإدارة الأمريكية بصورة إجمالية، لا ترى التمايز بين وزنه كتيار منفرد، وبقية التيارات اليمينية التي تتألف منها تلك الإدارة، كتيار المسيحيين الأصوليين، وتيار التمامية البروتستانتية الآتي من الولايات الجنوبية، والتي منها يتفرع الحزام الإنجيلي، وهو تيار متصاعد النفوذ في صفوف الجمهوريين وأصحابه من المتدينين في الجنوب الأمريكي، وهو التيار الأكثر دعما لإسرائيل انسجاما مع نصوص دينية، تتأرجح حول عدم إمكانية عودة المسيح إلا بتواجد اليهود في فلسطين.

إن المؤسسات التمثيلية لليمين المسيحي ومنه فريق المحافظين الجدد قد انتظمت وتطورت بصورة خاصة في القرن العشرين، كبنيات تعمل من أجل التعاون فيما بينها، ومن روابط من الدول ذات السيادة والمتساوية متابعة هدفاً مشتركاً عن طريق وسيط من هذه المنظمات الأخيرة المستقلة ذاتياً، والتي عرفت نموا كبيرا خاصة في القطاعات السياسية والدينية داخل النسق العام المميز للنسق الأمريكي، وحاولت العديد منها الانتظام في شكل تكتلات حزبية ومؤسسات بحثية وإعلامية متنوعة.[11]

وهو ما يحتم تناول طرق تغلغل المحافظين الجدد، ومن ثم دراسة الجانب المؤسساتي في حركتهم، وصولا إلى دراسة النزعة الحربية التي تهيمن على أتباع هذا الفكر.

1.2 طرق تغلغلهم

كان الحزب الجمهوري نفسه يعرف بتيارين، يضم أحدهما الإداريين الوسطيين من أنصار السياسة الواقعية، بينما يعبر التيار الآخر عن اليمين الأيديولوجي وعن القوميين المعادين جدا للشيوعية، والتيار الأول كان يؤيد الحوار وبقاء الأمور على ما هي عليه والدبلوماسية، بينما يتبنى الثاني الدفاع النشط وحتى بواسطة السلاح، عن القيم الديمقراطية، ولا يتردد أنصار هذا التيار في شجب لا أخلاقية الواقعيين، وفي عام 1976 استطاع اليمين الجمهوري والمحافظون الجدد أن يفرضوا رأيهم على غيرالد فورد وهنري كيسنجر وبوش (الأب) الذي كان آنذاك رئيسا لجهاز وكالة الاستخبارات المركزية، لتشكيل فريق لإعادة النظر في تقديرات وكالة الاستخبارات الأمريكية حول قدرات الاتحاد السوفييتي ونواياه، وعليه فرض المحافظون الجدد سنة 1980 مرشحهم للانتخابات الرئاسية.[12]

في تلك الأثناء، تقاطعت تلك المجموعة مع سياسة جيمي كارتر الخاصة بالشؤون الخارجية، والمستندة في أساسها على مبادئ حقوق الإنسان، وتعاونت مع بنيامين نتنياهو الذي كان حينها رئيسا لوزراء إسرائيل، وساعدت على ميل إدارة رونالد ريغن لتبني سياسة خارجية تستند على "مواجهة الإرهاب"، الذي يدعمه "الاتحاد السوفياتي"، وبالنتيجة وقع ما يسمى بالاحتواء المتبادل، أي احتوت المجموعة رونالد ريغن، وفي الوقت ذاته احتوتهم إدارة رونالد ريغن.[13]

أما بوش (الأب) أبعد تلك المجموعة وفضل تبني سياسة خارجية تقليدية، وفضل بِيل كلينتون تبني سياسة خارجية تستند على العلاقات الدولية، وتطوير التجارة ومحاولة إتباع الحوار في حل الأزمات الدولية، في حين قررت إدارة بوش (الابن) دعم المنظمات الدينية لدرايتها بأهمية الجانب المؤسساتي في تقوية التيار المحافظ بشكل انتظامي، لتكرس النفوذ المتصاعد للمحافظين الجدد داخل إدارته.[14]

إن ربع المقترعين الإنجيليين أو ثلثهم فقط هم الذين يتطابقون مع اليمين الديني، ولكن هذه الشريحة أفضل تعليماً وأكثر دخلاً وأكثر احتمالاً في تسلم وظائف مهنية اختصاصية من سواهم من الإنجيليين، بل من كل الشعب الأمريكي عموماً. [15]

وبالمحصلة، فإن التيار الديني الذي يمثله المحافظون الجدد امتلك من الوسائل غير الجديدة ما يمكنه ليس فقط في التأثير على مجرى القرار الأمريكي، بل وفي صياغته حتى بلغة الخطاب الديني.

2.2 الجانب المؤسساتي للتيار

في الجانب العملي، بدأ التيار في كلية سيتي كوليج التابعة لجامعة نيويورك عملية توجيه نشطاء، من أمثال ايرفينغ كريستول الذي عُدَّ أحد أبرز الصحفيين الأمريكيين، ونورمان بودهوريتز مؤسس مجلة كوفنتري الأمريكية، وزوجته ميرج ديكتر، وناتان جلازر ودانييل بيل، وهم جميعاً ممن تحولوا بعد ذلك إلى تيار المحافظين الجدد.[16]

في مطلع ثمانينات القرن العشرين، كان الواعظ الإنجيلي جيري فولويل ومنظمته الأكثرية الأخلاقية (Moral Majority)، بتشجيع قوي وعون سخي من العاملين الإعلاميين أتباع اليمين الجديد، من أكثر ممثلي اليمين الديني ظهوراً في أجهزة الإعلام ووسائلها، وبعد أن أغلق جيري فالويل منظمة "الأكثرية الأخلاقية" عام 1986 جاء إلى الصدارة قادة ومجموعات أفضل تنظيماً وأكثر حنكة سياسية وأقوى علاقة مع رجال السلطة المطلعين على بواطن

الأمور في واشنطن، ومن أبرز هذه الجماعات "التحالف المسيحي" الذي بدأ نشاطه بمذيع ديني ومراسل تلفزيوني بارز هو بات روبرتسون، وبسياسي بارع هو رالف ريد، مركّزاً نشاطه على الأسرة بقيادة المذيع جيمس دوبسون الذي يعد من أكثر عناصر التحالف تأثيراً، ومجلس البحوث الأسرية الآنف الذكر بقيادة غاري بوير أحد مستشاري رونالد ريغن الأساسيين.[17]

إن القدرة على حشد الناخبين بسرعة، إضافة إلى فاعلية أداة التأثير في الكونغرس، قد منحت اليمين المسيحي مستوى فريداً من التأثير من السياسات الأمريكية.[18]

وكل شيء يؤشر إلى أن دفاعا مسيحيا يتم تشييده داخل الولايات المتحدة كرد على اعتداءات "الإرهابيين"، يهدد باندلاع ليس مواجهة حضارية بل نزاعا بين الديانات التوحيدية (Monotheistic).[19]

وبالمقابل ينظر المحافظون الجدد إلى المنظمات الدولية كمنظمات غير مقبولة في حال وقوفها في وجه المصالح القومية الأمريكية، أما القانون الدولي فينظر إليه على أنه لا يتعدى كونه حبراً على ورق، ما لم تدعمه القوة، ورغم أن المؤسسات الفاعلة لها ميزاتها في التعامل مع الاحتياجات الفنية، إلا أن مؤسسات الأمم المتحدة السياسية، بعيداً عن إعطائها المبررات للجوء إلى القوة حسبما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة، ينظر إليها كما لو أنها في حالة اختبار وحاجة إلى سد النقص.[20]

3.2 النزعة الحربية عند المحافظين الجدد

يعتقد معظم الباحثين أن ما يسمى التوراة أو العهد القديم هو عصب الميول اليمينية بشقيها اليهودي والمسيحي، فالعهد القديم يزخر بإيديولوجية الحرب والإبادة والسحق، والحرب لا تذكر في العهد القديم كحالة دفاعية من خلال الدعوة لسحق الشعوب وامتلاك أراضي الغير، والسيطرة على مقدرتها، والتحكم بها، والتي تدفع اليهود بالإيمان أنهم شعب الله المختار، والآخرين هم مخلوقات خلقهم الله على هيئة بشر ليليق بهم خدمة بني إسرائيل، إن العهد القديم مليء بالنصوص العنصرية التي تصف اليهود بذلك، فمثلا ورد في (أشعيا 5/61): "أما أنتم فتُدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون"، وورد في (يوشع 12/23): "إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب، فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود لطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونوا لكم فخا وشركا، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم"، كما ورد في (عدد 55/33): "إن لم تطردوا أهل الأرض من

وجهكم، كان من تبقونه منهم كإبرة في عيونكم وكحربة في جنوبكم، ويضايقونكم في الأرض التي أنتم تقيمون بها".[21]

وربما لم يعد جديدا القول بأن التيار اليميني المحافظ في الولايات المتحدة هو المسؤول عن الحرب الأمريكية على العراق، ومن قبلها الحرب على أفغانستان، في إطار ما يعرف باسم الحرب على الإرهاب، ولكن الجديد هو القول بأن هذا التيار سيعد المسؤول الأول عن صياغة شكل العالم خلال القرن الحادي والعشرين، ولعل هذا ما تروج له الدوائر والأوساط الفكرية الأمريكية، التي وجدت في مقولة محاربة الإرهاب غطاءها الشرعي لهيكلة وإعادة فك وتركيب العالم، وفق المصالح والرؤى الأمريكية في عالم ما بعد 2001/9/11.

ويأتي على رأس هؤلاء المحافظين الجدد من داخل الإدارة الأمريكية وزير الدفاع دونالد رامسفيلد ومساعده بول وولفتيز، ويساعدهم في ذلك منظرو الاتجاه اليميني المحافظ، من أمثال روبرت كيجان وبروس جاكسون وجاري سشميت وإيلين بروك وغيرهم، وينطلق هؤلاء في تفكيرهم من فرضية أن الفرصة باتت مواتية لبسط الهيمنة (Hégémonie) على العالم وخلق أوضاع إقليمية جديدة تخدم المصالح الأمريكية حتى وإن تم ذلك باستخدام القوة لكل من يخالف أو يعترض.[22]

ولهذا قام المحافظون الجدد قبل الحرب بتصوير تلك الحرب على أنها البداية لثورة مستمرة ستعمل من خلال أسلوب عمل قطع الدومينو عندما تُسقط إحداها الأخرى، أي تعمل على تحويل المنطقة العربية إلى منطقة ديمقراطية.

3. ارتباط التيار الديني بإدارة بوش (الابن)

إن إحدى الطرق الرئيسية التي أصبح بها الدين منخرطا في السياسة تكمن في عمل الجماعات الدينية كجماعات مصالح، وذلك من خلال التأثير على المسار السياسي بأساليب متنوعة، فعلى سبيل المثال وفي التاريخ الحديث نسبيا للولايات المتحدة عملت للتأثير في السياسة العامة تجاه حقوق الإجهاض وتجاه حركة الحقوق المدنية ومساعدة إسرائيل.. الخ.

وكان تفكيرها يتمثل في أن القوة الأمريكية "الناعمة" لم تعد قادرة على أداء دورها في القرن الجديد، كما فعلت فترة ما بين الحربين العالميتين، في النصف الأول من القرن العشرين، أصبحت مقتنعة بأن القوة الخفية للولايات المتحدة ممثلة في وكالة الاستخبارات المركزية، لم تعد كافية للإمساك بفرصة هذه اللحظة، لأن العمل السري بطبيعته يحتاج إلى وقت، وذلك كله ليس متاحا من وجهة نظرها.

ومع بداية القرن الحادي والعشرين بدا ظاهرا أن هذه المجموعة التي استحوذت على السلطة في عجلة من أمرها، مقتنعة بأنها إذا لم تستطع الإمساك بالفرصة السانحة بعد انتهاء الحرب الباردة، كي تحول هذه الفرصة إلى حقيقة حياة وبداهة أمر واقع، فإن الظروف قد تتغير ويظهر منافسون جُدد للولايات المتحدة، خصوصاً في أوروبا وآسيا.

إن ما يطلق عليه الدين المدني ما زال يتغلغل في الحياة الأمريكية، وهو مجموعة من المعتقدات والطقوس والشعائر والرموز مثل اعتبار عيد الشكر عيدا قوميا، كما أعلن بوش (الأب) عام 1991 إبان حرب الخليج، وابتهاله في خطبته إلى الرب ليبارك الولايات المتحدة، واستهلال الجلسات الحكومية بالصلاة، ودعم الحكومة لقساوسة الجيش، وغيرها.[23]

ولقد كان يكرر مرار تعابير الرئيس وودرو ولسون إبان الحرب العالمية الأولى، فاستعار منه مصطلحات الحرب الصليبية والعدالة المطلقة وغيرها من المصطلحات، إلا أنه لم يكن موفقا باستعارة هذه المصطلحات، فهي مصطلحات تنتمي للثقافة الغربية بشقيها المسيحي واليهودي، وهي تعطي دلالات معاكسة تقريبا في الحضارات الشرقية والإسلامية تحديدا.[24]

كما يمكن أن نخلص إلى تقرير دينامكية العلاقة بين السياسة الأمريكية والدين، وهو يحدد هذه الدينامكية بالمحورين الأساسيين التاليين:

- إن الدين والسياسة بحكم طبيعتهما الخاصة لا يمكن تجنب ترابطهما، وتتخذ العلاقة بينهما أشكالا عديدة، وعلى الرغم من تعددها إلا أنها ستظل موجودة دائما.
- للدين المدني الأمريكي توراته الخاصة، وهي الدستور الأمريكي الذي وضعه الآباء الأوائل، والذي يعتبره الأمريكيون توراتهم الجديدة.

1.3 شبكة علاقات المحافظين الجدد بالإدارة الأمريكية

وعلى حد وصف مجلة الإيكونومست، فإن إدارة بوش (الابن) لا تمتلك رؤية محددة للسياسة الخارجية الأمريكية، بل مجرد رد فعل للأحداث خاصة في مرحلة ما بعد 2001/9/11، كما أنها تنبع من نظرة هؤلاء المحافظين الجدد ومدى تأثيرهم عليه أكثر من ارتباطها برؤية واضحة وشاملة ومتوازنة، والأكثر من ذلك أنها تلقي تأييداً من مختلف القوى السياسية بما فيها الكونغرس ذاته.

قال جامين راسكين الخبير الحقوقي في الجامعة الأمريكية بواشنطن أن بوش (الابن) تحول بدوره وبوضوح إلى اليمين، وأضاف أنه أكثر يمينية من والده أو من رونالد ريغن، وندد بقرار المحكمة العليا التي بتت في انتخابه معتبرا أن ميولها أكثر يمينية من مجموع الأمريكيين،

غير أن هذا التحول إلى النزعة المحافظة التي يصفها آخرون بالرجعية، لا تثير معارضة علنية في البلاد، وفي هذا الإطار فإن مجموعة المحافظين الجدد، أخذت هذا الأسلوب وطبقته على أوسع وأكفأ نطاق، ابتداءً من الاستيلاء على الإدارة الجمهورية التي دخلت البيت الأبيض، ثم التأثير على سلطة القرار فيها ثم محاولة تحوير السياسة الخارجية وفقا لطروحاتها، من أمثال ديك تشيني "نائب الرئيس بوش (الابن)"، ودونالد رامسفيلد "وزير الدفاع"، وريتشارد بيرل "رئيس مجلس سياسات الدفاع"، وبول وُلفوويتز "مساعد وزير الدفاع" وآخرين غيرهم.

إن هذه الإدارة شكلت استثناءا واضحا حتى بمقياس الإدارات الأمريكية السابقة، وهو ما لا تفسير له إلا من خلال فهم طبيعة الفريق العامل مع بوش (الابن)، لأنه هو المسؤول عن القرار الأمريكي ودفع الأمور إلى درجة الحرب، فالإدارة تتشكل من تركيبة يمينية تحمل هدفين أساسيين من وراء الحرب:[25]

(الأول) يتعلق باستخدام العراق ونفطه سلاحاً من أجل إخضاع الدول الكبرى الأخرى، وبناء نظام عالمي يقوم على هيمنة عسكرية سياسية اقتصادية ثقافية، يتحكم فيها ذلك الفريق الذي يسعى إلى إحداث تغييرات داخلية في الولايات المتحدة، وذلك لضمان دورة ثانية لبوش، بل وتأمين ديمومة هيمنة اتجاه المركّب الصناعي العسكري على الإدارات الأمريكية اللاحقة في القرن الـ21.

أما (الهدف الثاني) فهو المشروع الإسرائيلي مما يجعل غزو العراق ووضعه ضمن إستراتيجية المشروع الإسرائيلي رغبة محمومة إلى حد تجاهل كل ما عداها، ولو من خلال الخروج على تقاليد الإدارات الأمريكية في الذهاب إلى الحرب وبناء العلاقات الدولية.

2.3 الخلفية الدينية لتفكير بوش (الابن)

بصفته شخصاً من غربي تكساس، فعل ما يفعله عادة أبناء المنطقة في الأيام العصيبة: انضم إلى مجموعة غير طائفية لدراسة الكتاب المقدس، وأقنع بلطف صديقه جورج بمرافقته، وكان البرنامج الذي يسمى "دراسة جماعية للكتاب المقدس" قد بدأ، في جوار العاصمة واشنطن عام 1975 على يد جماعة من نساء الضواحي، وحين وصل إلى ميدلاند كان قد تحول إلى ما يشبه معسكر تدريب ديني، إذ كان عبارة عن دراسة مكثفة على امتداد سنة لإنجيل واحد من العهد الجديد مع تناول فصل جديد كل أسبوع ترافقه قراءة مفصلة وحوار في إطار فريق من 10 رجال.[26]

الجد الأكبر لعائلة بوش كان يدعى أيضا بوش (1796-1859) وله سلسلة من الكتب في شروح أسفار العهد القديم، منها (وادي الرؤى: إحياء رميم إسرائيل Valley of vision: the

daybones of Israel)، وهو من أبرز ما كتب في ذلك الحين في إطار تيار اليمين المسيحي الداعي إلى ضرورة العمل من أجل تجميع يهود العالم في فلسطين وتدمير إمبراطورية السارازن، والسارازن هو الاسم الذي يطلقه الصليبيون وأوروبيو القرون الوسطى على المسلمين، وكان الرومان يطلقونه على بعض رعاياهم تحقيرا.

هذا ما ساعد في التأكيد على صدق انتمائه إلى "الحزام الإنجيلي" في مناطق تكساس الريفية، التي كانت حتى ذاك الوقت ديمقراطية أساساً، كما أنه لا يقرأ فعلاً والكتاب الوحيد الذي بقي لأشهر طويلة على مكتبه هو (سيرة حياة سام هوستون) مؤسس تكساس الذي أحب أن يتشبَّه به.[27]

يحكم بوش (الابن) بعقيدته الدينية، وهو تقليدي بحكم طريقة تفكيره، وأقرب إلى كونه شخص عادي منه إلى ما يمثله منصبه رئيسا للولايات المتحدة، فهو يصوغ خطابه بلغة المطلقات: "صراع بين الخير والشر ورسالة الولايات المتحدة التاريخية لنشر الحرية، منحة الرب المقدسة لكل البشر"، وهو خطاب يجذب اليمين المسيحي، ويُرضي اليمين اليهودي.[28]

وبعد خطابه في ناشفيل، التقى على انفراد مرشدين اجتماعيين رعويين وشهد بإيمانه بالمسيح، وقد جاء على لسانه: "ما كنت لأصبح رئيساً لو لم أتوقف عن الخمر قبل 17 سنة، وقد استطعت القيام بذلك بفضل نعمة الرب وحده"، كما كان يرى بأن أحداث 2001/9/11 لم تعطه معنى لرئاسته فقط، بل منحته مهمة ورسالة في الحياة، خاصة وأنه اعتبر قيادته للولايات المتحدة بعد هذه الأحداث أمر إلهي واختيار رباني.[29]

3.3 جدلية الدين والسياسة في تفكير بوش (الابن)

إن جذور الخلفية التاريخية لِما يبدو حماسا دينيا متأججا لدى بوش (الابن)، تكمن في تراث المستوطنين الأوربيين الأوائل في القارة الأمريكية الذين كانوا متدينين لحد التعصب، يؤمنون بأن الولايات المتحدة هي الأرض الموعودة، وهو يشير إلى أن الأمريكيين الحاليين مثل أجدادهم السابقين يؤمنون بأنهم محط عناية إلهية وقدر إلهي محتوم، لكن اليمين المسيحي صاغ هذه الأفكار الثيولوجية صياغة سياسية عملية.[30]

لقد تتبع القس ريفتس المصطلحات الدينية في خطابات بوش (الابن)، والنزعة الوثوقية في أحاديثه بأن الرب إلى جنبه دوما، وأن الحرية والخوف، العدل والفظاعة، ظلا دوما في صراع، وأن الرب ليس حياديا في هذا الصراع، ومن ذلك تكراره الدائم أن الولايات المتحدة أمة مؤمنة وخيِّرة ومثالية، وأحيانا أمة رحيمة وسخية.[31]

إن ما كان يطمح إليه أنصار اليمين المسيحي على الدوام، بحسب القس فريتس، هو قائد على منوال شخصية داود الإنجيلية، يوحد مطامحهم السياسية مع رؤاهم الدينية، وكل المؤشرات تدل على إيمانهم بأنهم وجدوا هذا القائد في شخص بوش (الابن).

وكان سيخسر الانتخابات لولا الدعم شبه المطلق من قِبَل المسيحيين البالغ عددهم حوالي 50 مليوناً في الولايات المتحدة، وهؤلاء يتجاوبون بشكل كبير مع التوجيهات التي يتلقونها من القساوسة التلفزيونيين (Televangelists) من أمثال جيري فالويل وبات روبرتسون.[32]

وقد عمد بوش (الابن) إلى اعتماد البرامج الاقتصادية والاجتماعية، التي ترسخ الدين المسيحي في المجتمع الأمريكي وفي العالم، ومن أمثلة ذلك داخليا تخصيصه بندا من الميزانية لتمويل المؤسسات التربوية والاجتماعية الدينية، من كنائس ومدارس دينية وغيرها، وهي سابقة في تاريخ الولايات المتحدة، اعتبرها كثيرون بداية النهاية للموقف الحيادي من الدين الذي يلزم الدستور الأمريكي الحكومة به، أما خارجيا فمن أمثلة ذلك تخصيصه لـ15 مليار دولار لمكافحة الإيدز في إفريقيا، وهو برنامج يحمل مضمونا تبشيريا أيضا، فقد ورد أن حلفاءه من الحركة الإنجيلية يطمحون لاستعمال تلك الأموال في نشر المسيحية بإفريقيا.[33]

وعليه فإنه ليس الإنسان ذا البعد الواحد، الذي يمكن تفسير شخصيته تفسيرا أحاديا، والحقيقة أن شخصيته مركبة من الحماس الديني والمنفعية السياسية والمالية، فهو متدين يميني عن صدق، لكنه سياسي طموح، وهو أيضا رجل نفطي كما وصفه أحد الكتاب الفرنسيين، أما اتهامه بالغباء وانعدام البصيرة كما أشار إليه الكاتب الأمريكي مايكل مور مؤلف كتاب (رجال بيض أغبياء)، فهو رأي يحتاج بالتأكيد إلى مراجعة.

خاتمة

- لقد أضحت الأسس التي نادى بها المحافظون الجدد بدعم وتأييد من جماعات الضغط الداعمة لإسرائيل السياسة المتبعة للإدارة الأمريكية، عوامل ثابتة وليست متغيرة، خصوصا بعد أن نجحت في فرض نفسها منذ قيام دولة إسرائيل، كأداة ضغط قوية على السياسة الخارجية الأمريكية بشكل دائم ومستمر، رغم المتغيرات الدولية المتعددة منذ تلك الفترة.

- استخدمت الإدارات الأمريكية المتلاحقة الحس الديني ومصطلحاته لتحقيق أهدافها، أما المسلمين فهم يواجهون عقب 2001/9/11 تحد أكبر للذوبان في الثقافة الأكبر للمجتمع الأمريكي، وهذه المرة تحت وطأة عمليات وتصرفات مخابراتية "سوداء"، بما يبرر التساؤل عن

ماهية وطبيعة العلاقة بين الدين والسياسة في الولايات المتحدة، وأنماط تأثيره في السياسة الخارجية الأمريكية.

● لقد عملت نخبة من تلامذة شتراوس من المحافظين الجدد وزملاء لهم من اليمين الإسرائيلي ما يشبه شبكة غير رسمية داخل الإدارة الأمريكية، وحوّرتها خلال العقود الثلاثة الماضية، في انتظار لحظة تحين فيها فرصة للانقلاب الذي لم يكن على مثل هذه السرية، وكان تاريخ 2001/9/11 بمثابة الفرصة التي لا تأتي إلاّ مرة واحدة.

● أخيرا، هناك سؤال افتراضي طرحته مجلة ويكلي ستاندرد التي يسيطر عليها فريق المحافظين الجدد، كان في صيغة ما إذا كان شعار الصدمة والرعب الذي رفع للحرب على العراق قد يحقق غايته بالشكل المطلوب على امتداد المنطقة العربية، فكان الرد: "إذا تحقق، فلا حاجة لأي نوع من الحوار بين واشنطن وبين أية عاصمة عربية أخرى، أما إذا لم يحقق بالقدر المطلوب، فلدى الولايات المتحدة من الأساليب ما يفي بالغرض".[34]

الهوامش

[1] الطويل كمال، المنطقة العربية في السياسة الأمريكية، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد (22)، نوفمبر 2002، ص48.

[2] Halsell Grace, **Prophecy and Politics: The Secret Alliance between Israel and the U-S Christian Right,** Lawrence Hill, Westport CT-USA, 1989, P130.

[3] كيالي ماجد، عميل موساد متقاعد يشرح أسباب انحياز إدارة بوش المستمر لإسرائيل، **جريدة البيان**، الإمارات العربية المتحدة، 2002/5/8.

[4] Raines Howell, When Devotion Counts More Than Doctrine?, **New York Times,** NY-USA, 17/9/2000.

[5] Easton Nina, **Gang of Five,** Simon & Schuster, New York, 2000, P65.

[6] بوغنون ميشال، **أمريكا التوتاليتارية: الولايات المتحدة والعالم إلى أين؟**، طبعة (1)، ترجمة شفيق شقير، دار الساقي، بيروت، 2003، ص8.

[7] Ritseche Fretiss, The God and human in the capitol, **Washington Post,** USA, 1/11/2001, P32.

[8] بوقارة حسين وآخرون، **الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر2001**، طبعة(1)، منشورات باتنيت، الجزائر، 2002.

[9] كريستيسن كاتلين، المنطقة العربية في السياسة الأمريكية: سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد (22)، نوفمبر 2002، ص17.

[10] بوقارة حسين وآخرون، مرجع سابق، ص3.

[11] Castells Manuel, **La Société En Réseau,** Tome 3, Fayard, Paris, 2001, P197.

[12] هاسنر بيير وفايس جوستان، **واشنطن والعالم معضلات قوة عظمى**، طبعة (1)، بدون دار نشر، بيروت، 2002، ص22.

[13] Dobbins James and other, America's Role in Nation-Building: From Germany to Iraq, **Rand Corporation,** Santa Monica-USA, 2003, P120.

[14] كوربت مايكل وجوليا ميتشل كوربت، **الدين والسياسة في الولايات المتحدة**، طبعة (1)، ترجمة ناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، 2001، ص69.

[15] المرجع نفسه، ص69.

[16] Ward Ibrahim, Il ne peut y avoir de paix avant l'avènement du Messie, **Le Monde Diplomatique,** Paris, Septembre 2002, 16.

[17] هاسنر بيير وفايس جوستان، مرجع سابق، ص36.

[18] مارتن ويليم، **نشوء اليمين المسيحي في الولايات المتحدة**، طبعة (1)، مطبوعات طريق الكتاب الخارجي، نيويورك، 1996، ص97.

[19] Laurent Eric, **la guerre des Bush: les secrets inavouables d`un conflit,** Edition Plomb, Paris, 2003, P17.

[20] هاسنر بيير وفايس جوستان، مرجع سابق، ص62.

[21] Golub Philip, Métamorphoses d'une politique impériale, **Le Monde Diplomatique,** Paris, Mars 2003. P13.

[22] زغبي جيمس، مرجع سابق.

[23] كوربت مايكل **وجوليا ميتشل كوربت**، مرجع سابق، ص68.

[24] Woodward Bob, Bush s'en va-t-en guerre, **Calmann-Lévy,** Paris, 2002, P119-120.

[25] منير شفيق، إدارة بوش وقرار الحرب، نقلا عن الموقع الالكتروني: (تمت زيارته 2024/2/1)
https://www.aljazeera.net/opinions/2004/10/3/إدارة-بوش-وقرار-الحرب

[26] ميلبير جي، ما يريده بوش، طبعة (1)، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002. ص36.

[27] ميلبير جي، مرجع سابق، ص32.

[28] المرجع نفسه، ص32.

[29] Golub Philip, Op-cit, P17.

[30] Faynem Haward, Bush and the God, The Newsweek, USA, 10/3/2003.

[31] Ritseche Fretiss, Op-cit.

[32] سورس جورج، فقاعة التفوق الأمريكي، طبعة (1)، ويدندفيلد ونيكولسن، لندن، 2004، ص123.

[33] Halsell Grace, Op-cit, P91.

[34] ميلبير جي، مرجع سابق، ص35.